مجلة المعجمية - تونس

ع 14-15

1999

التّـــوليد بالتّبـــــــاين (*)

بحث : علي الـودرنـــي

1 - تمهيـــد :

التبـــايـــــن نوعـــان :

1 - تبـــاين صـــــامـــتي (Dissimilation consonnantique) : يحـــدث بين الصّوامت، وهو النوع العادي المعروف، قد تناولته الدّراسات العربية والغربية باعتباره مظهرا من مظاهر التغيير الصوتي.

2 - تباين صائتي (Dissimilation vocalique) : يحدث بين الصّوائت، وهو نوع غير معروف بدأ الإهتمام به وبمظاهره في تونس(1) لكنّهُ لم يحظ بعدُ بدراسة موسّعة مستقلة.

ونتناول في هذا البحث النّوع الأوّل منه من حيث هو قاعدة من قواعد التوليد الصوتي في المعجم له مظاهر وطرق وآليات تقوم على قوانين دقيقة وله أسباب ونتائج.

فالتّباين الصّامتي كما عرّفه اللّغويون هو: «نُزُوع صوتين متماثلين إلى التّخالف أو التّباعد بأن يُبدل أحدهما بصوت آخر» (2)، وقد أطلقوا عليه مصطلحات كثيرة مثل :

(*) هذا العمل في الأصل فصل من بحث بعنوان «دور الأصوات في التوليد المعجمي» كنّا أنجزناه في نطاق شهادة الدراسات المعمقة في اللغة والآداب العربية في قسم اللّغة العربية بكلية الآداب بمنوبة، بإشراف الأستاذ ابراهيم بن مراد، ونوقش يوم 1999/04/29. وقد أدخلنا على هذا الفصل بعض التنقيحات التي تطلّبتها طبيعة البحث المستقل.

(1) أوّل من انتبه له وفسّره إبراهيم بن مراد، ينظر له : مسائل، ص ص 41-42، ومقدّمة، ص ص 139 - 143.

(2) ينظر على سبيل المثال : برجشتراسر : التطور النحوي، ص 34؛ أنيس : أصوات، ص 210؛ مطر: لحن العامة، ص 213؛ عبد التواب : لحن العامة، ص 40؛ البكوش : التصريف العربي، ص 72.

المفارقة والمغايرة والمخالفة(3) والتّغاير(4)، وكلّها ترجمة للمصطلح الأجنبي (Dissimilation).

وهو نادر في اللّغة قياسا بالتّماثل، وهو في العربيّة قليل قياسا ببعض اللّغات السّامية الباقية خصوصا الأكديّة والآراميّة(5). وأكثر ما يكون في معالجة المفردات المقترضة وفي نُطق العامّة للمفردات العربيّة الأصل(6). ومهما يكن من أمر فإنّ التّباين الصّامتي حقيقة قرّرها اللّغويّون المحدثون واعترفوا بأثره في التطور الصوتي في جميع اللغات(7) وعدّوه قانونا صوتّيا(8)، وإن كان بعضهم يرى فيه نوعًا من الاتجاهات أو الميول (Tendance phonétique) التّي تفسّر ما حدث من تغيّر لبعض المفردات في أصواتها وليس قانونا(9).

2 - مظاهر التّوليد بالتّباين الصّامتي :

يظهر التّباين الصّامتي في أغلب المقولات المعجميّة، كما يظهر في بنى صرفّية مختلفة، وعنه تتولّد - داخل كلّ مقولة - أشكال جديدة. وهذه المولّدات تكون مكتسبة لخصيصتين تمييزيتين جديدتين تختلف بهما عن أصولها هما : التّأليف الصّوتي والبنية الصّرفيّة، مثلما يبيّنه تحليلنا للنّماذج التالية :

2 -1. في الأفعـــــال :

المجرّدة المضعّفة من نوع (2,2,1*) و (2,1,2,1) والمزيدة بالتّضعيف (Par gémination) :

(1) زَفَّ (زَفَفَ) ⇐ زَرَفَ (10) (أسرع) : /ف/ ⇐ /ر/. (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(2) غَذَّ (غَذَذَ) ⇐ غَذَا (لم ينقطع) (11) : /ذ/ ⇐ /ا/ (12) (2,2,1) ⇐ (3,2,1).

---

(3) هذه المصطلحات ذكرها : هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 17.

(4) هذا المصطلح استعمله مطر : لحن العامة، ص 213.

(5) برجشتراسر : التطوّر النحوي، ص 35.

(6) البكّوش : التّصريف العربي، ص 72.

(7) مطر : لحن العامة، ص. ص 219 - 220.

(8) عبد التواب : لحن العامة، ص ص 37-40.

(9) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 37.

(*) تكرار الرقم يرمز إلى تكرار الصوت.

(10) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 67.

(11) مطر : لحن العامة، ص 210.

(12) غذا يغذُو : وسنعتبر الألف واوًا عندما نتناول العلاقة بين الصوت المبدل والصوت البديل (الفقرة 4-1 من هذا البحث).

(3) لَثَّ (لَثَثَ) ⇐ لَبِثَ[13] (أقام) : /ث/ ⇐ /ب/ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(4) قشَّ (قَشَشَ) [14] ⇐ قَرشَ (جمع من هنا وهناك) : /ش/ ⇐/ر/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1). قمشَ (بنفس المعنى) : /ش/ ⇐ /م/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(5) حدّقَ ⇐ حَدْلَقَ (شدّدَ النظر)[15] : /د/ ⇐ /ل/ ⇐ (فَعَّل) ⇐ (فَعْلَل)

(6) دبَّجَ ⇐ دَرْبَحَ (طأطأ رأسهُ وذلَّ)[16] : /ب/ ⇐ /ر/ ⇐ (فَعَّل) ⇐ (فَرْعَل)[17].

(7) انغسَّ ⇐ انغمسَ[18] (انغطَّ) : /س/ ⇐ /م/ ⇐ (انْفَعَّ) ⇐ (انْفَعَل).

(8) تبيّضَ ⇐ تَبَيْضَضَ[19] (صار أبيض) : /ي/ ⇐ /ض/ ⇐ (تفعّل) ⇐ (تفعضَل).

(9) تَمَطَّطَ ⇐ تَمطَّى[20] (تمدّد) : /ط/ ⇐ /ي/ ⇐ (تَفَعَّع) ⇐ (تَفَعَّى).

(10) تلعَّعَ ⇐ تلعَّى [21] (تناول اللعاعة أي الهندباء) : /ع/ ⇐ /ي/ ⇐ (تفعَّع) ⇐ (تَفَعَّى).

(11) بَخْبَخَ ⇐ برْبَخَ[22] (في النوم غطّ) : /خ/ ⇐ /ر/ ⇐ (2,1,2,1) ⇐ (2,1,3,1).

(12) دهدهَ ⇐ دهدَى[23] (دحرج) : /هـ/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,1,2,1) = (3,1,2,1).

(13) اخْرَمَّسَ ⇐ اخْرَنْمَسَ (ذلَّ وخضع)[24] : /م/ ⇐ /ن/ ⇐ (افعلّل) ⇐ (افْعَنْلَل).

2 - 2. في الأسماء :

(1) جبٌّ ⇐ جوْبٌ[25] (القَطْعُ) : /ب/ ⇐ /و/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

---

(13) هريدي. ظاهرة المخالفة، ص 67.

(14) المرجع نفسه، ص 68.

(15) مطر : لحن العامة، ص 217.

(16) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 72؛ والمعجم الوسيط، 278/1 و287.

(17) تركنا أصوات الزيادة على حالها وإن خرج بعضها عن أصوات الزيادة التقليدية (سألتمونيها) لأننا نرى أنّ أصوات الزيادة تشمل جميع أصوات العربية، وأنّ (فَعْلَلَ) ومشتقّاتها ليست الصيغة الوحيدة في الرباعي.

(18) أنيس : أصوات، ص 212.

(19) الدّومينيكي (مرمرجي) : الثنائية، ص 380.

(20) أنيس : أصوات، ص 211.

(21) مطر : لحن العامة، ص 215.

(22) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 75 نقلا عن روزيشكا (Rûzicka).

(23) المرجع نفسه، ص 61 و77 تباعًا.

(24) المرجع نفسه، ص 48 : وينظر أيضا : ابن منظور : اللسان (خرمس).

(25) أنيس : أصوات، ص 212.

(2) مُحٌّ ⇐ ماحٌ[26] (صفرة البيض) : /ح/ ⇐ /ا/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(3) رسٌّ ⇐ رَمْسٌ[27] (الدفنُ) : /س/ ⇐ /م/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(4)ذُرُّوحٌ ⇐ ذُرْنُوحٌ[28] (دويبة أكبر من الذبابة شيئًا) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعُّولٌ) ⇐ (فُعْنُولٌ).

(5) عُقّافةٌ ⇐ عُرْقَافَةٌ[29] (خشبة في رأسها حجنة) : /ق/ ⇐ /ر/ ⇐ (فُعَّالَةٌ) ⇐ (فُرْعَالَةٌ).

(6) كرّاسةٌ ⇐ كرناسةٌ[30] (دفتر أوراق يكتب عليها) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعّالَةٌ) ⇐ (فُعْنَالَةٌ).

(7) قُبَّرَةٌ ⇐ قُنْبَرَةٌ[31] (نوع من العصافير) : /ب/ ⇐ /ن/ ⇐ (فُعَّلَةٌ) ⇐ (فُنْعَلَةٌ).

(8) خَدَنَّقٌ ⇐ خَدَرْنَقٌ[32] (أحد أسماء العنكبوت) : /ن/ ⇐ /ر/ ⇐ (فَعَلَّلٌ ⇐ (فَعَرْلَلٌ).

(9) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ[33] (ما أصبت منه حبربراً وحَبَنْبَراً : أي شيئًا) : /ر/ ⇐ /ن/ ⇐ (فَعْلَعَلٌ)*

2 - 3. في الصفات :

(1) (وَتَرٌ) عُرُدٌّ ⇐ عُرُنْدٌ[34] (غليظٌ) : /د/ ⇐ /ن/ ⇐ (فُعُلٌّ) ⇐ (فُعُنْلٌ).

(2) شُغَيِّرٌ ⇐ شُنْغُيرٌ[35] (سيّءُ الخُلق) : /غ/ ⇐ /ن/ ⇐ (فعيِّلٌ) ⇐ (فُنْعيلٌ)

(3) عَدَبَّسٌ ⇐ عَدَنْبَسَ[36] (الشديد الموثّق الخلق) : /ب/ ⇐ /ن/ ⇐ (فَعَلَّلٌ) (فَعَنْلَلٌ).

---

(26) المرجع نفسه، ص 212.

(27) المرجع نفسه، ص 213.

(28) مطر : لحن العامة، ص 216.

(29) المرجع نفسه، ص 219.

(30) المرجع نفسه، ص 218.

(31) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(32) مطر : لحن العامة، ص 216.

(33) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 74، وينظر : ابن منظور : اللسان (حبر).

(*) حافظنا هنا على الأوزان المألوفة في الرباعي والخماسي واكتفينا بذكر الصوت البديل بلفظه.

(34) مطر : لحن العامة، ص 215.

(35) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 72.

(36) مطر : لحن العامة، ص 218.

2 - 4. في الأدوات :

(1) إمّا ⇐ إيمَا (أداة تفصيل)[37] : /م/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,2,1) = (2,3,1).

(2) أمّا ⇐ أيْمَا (أداة شرط وتوكيد)[38] : /م/ ⇐ /ي/ ⇐ (2,2,1) ⇐ (2,3,1).

(3) لَعَلَّ ⇐ لَعَنَّ (أداة توقّع وتَرجٍّ) [39] : /ل/ ⇐ /ن/ ⇐ (وقع التباين بين الصّوت الأوّل والأخير المضعّف).

وما يمكن استنتاجه من التّحليل السّابق :

1- أنّ التّباين يظهر في الأفعال والأسماء والصّفات والأدوات على أنّ ظهوره في الأفعال والأسماء متواتر، أمّا في الصّفات فقليل وفي الأدوات فنادر لأنّ الأدوات في اللّغة محدودة العدد في قائمة مغلقة. ويبدو أنّ ظهوره في الظّروف منعدم تمامًا.

2- أنّ التّباين لا يحدثُ إلاّ إذا :

(أ) وُجد في المفردة صوتان مدغمان، وهذا المظهر مطّرد في العربيّة.

(ب) وُجد صوتان متماثلان غير مدغمين، وهذا يكون في أفعال الحكاية (2,1,2,1) ومشتقاتها في الأغلب.

3- إذا وقع التّباين الصّامتي بين صوتين مدغمين في مفردة مَا فإنّ بنيتها الصرفيّة تتغيّر وجوبًا: كأنْ تنتقل من الثلاثي المضعّف إلى الثلاثي السالم، أو من الثّلاثي المزيد إلى الرّباعي مثلا. وهذا يُبرز تأثير هذه القاعدة الصوتيّة ليس في التأليف الصوتي للوحدات المعجميّة المولّدة فحسب بل كذلك في بنيتها الصّرفية.

3 - طرق التّوليد بالتّباين :

إنّ أهمّ ما يؤخذ به في التّباين لدى اللّغويين العرب هو التباين عن قرب أي بين صوتين مدغمين، حتّى إنّ بعضهم جعل منه الطريقة الوحيدة للتباين[40]، وقد ذكر برجشتراسر للتّباين طريقتين :

(أ) تباين عن بُعد وسمّاهُ المنفصل.

---

(37) المرجع نفسه، ص 215.

(38) المرجع نفسه، ص 215.

(39) عبد التواب : لحن العامة، ص 40.

(40) ينظر مثلا : أنيس : أصوات، ص 213، وكذلك : مطر : لحن العامّة، ص 214.

(ب) تباين عن قرب وسمّاهُ المتّصل.

ويرى أنّ «المنفصل [هو] ما كان بين حرفيه فارق نحو كلمة : «اخضوضر» أصلها اخضرضر، من أخضر، فأبدلت الرّاء الأولى واوا لجوار مثلها، وهذا النّوع هو الغالب، والمتّصل ما تجاور فيه الحرفان وهو على الأخصّ في الحروف المشدّدة»(41).

إنّ ما ذهب إليه برجشتراسر بخصوص وجود طريقتين للتباين صحيح وإلى ذلك ذهب كانتينو(42) ورمضان عبد التواب(43) أيضا. لكن أن يجعل برجشتراسر التباين عن بعد هو الغالب فهذا - في رأينا - لا يستقيم لأنّ التلفّظ بصوتين متماثلين متجاورين (مدغمين) يتطلّب من الناطق تكرار عمليّة نطقيّة بعينها مرّتين متتاليتين وفي هذا جهد ومشقّة أكبر ممّا لو كرّر الناطق العمليّة نفسها مؤجّلة(44) (أي في حال وجود صوتين مثلين عن بُعد) والأمثلة التي أوردناها سابقا - وسنورد منها طائفة أخرى - تبرهن على أنّ التباين في العربيّة يكون في الأغلب بفكّ الإدغام وإبدال أحد الصوتين المتماثلين صوتا آخر. ولعلّ برجشتراسر قد أطلق حكمه هذا تأثّرًا بما يوجد في اللّغات الأروبية، إذ يكاد التّباين لا يحدث في هذه اللغات إلاّ عن بُعد، ولاطّراد هذا النّمط في تلك اللغات أمكن لهيلمسلاف صياغة جملة من القوانين يقوم عليها التّوليد بالتباين(45).

ومهما يكن من أمر فإنّ التّباين الصّامتي في العربيّة يتمّ بطريقتين:

(أ) بالتأثّر عن قُرب (أو بالتّجاور)؛

(ب) بالتّأثّر عن بُعد.

3 -1. التبـــــاين عـــن قـــرب :

وهو الأغلب في العربيّة كما ذكرنا ويتمّ بفكّ التضعيف بين صوتين في مفردة ما ثمّ يُبدل أحد الصوتين المثلين بصوت آخر مخالف، ومن أمثلته :

(1) قَطَّ (قَطَعَ) ⇐ قَرَطَ(46) : [/ق، ط، ط/] ⇐ [ق، ر، ط/].

---

(41) برجشتراسر : التطوّر النحوي، ص 34.

(42) Cantineau : Etudes de linguistique arabe. p. 144.

(43) عبد التواب : لحن العامة، ص 40.

(44) ينظر مثلا : أنيس : أصوات، ص ص 211 - 213؛ ومطر : لحن العامة، ص 214.

(45) ينظر : Hjelmslev (L) : Le langage, p.p. 74-76.

(46) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 61.

(2) بَصَّلَ (جَرَّدَ) ⇐ بَهْصَلَ [47] : [/ب، ص، ص، ل/] ⇐ [ب، هـ، ص، ل/].

(3) تَسَـرَّرَ (سرَّ بجاريته) ⇐ تَسَرَّى[48]: [/ت، س، ر، ر، ر/] ⇐ [ت، س، ر، ر، ى].

(4) تَبَيَّضَ ⇐ تَبَيْضَضَ[49] : [/ت، ب، ي، ى، ض/] ⇐ [/ت، ب، ي، ض، ض/].

(5) انْغَسَّ ⇐ انْغَمَسَ[49] : [/ا، ن، غ، س، س/] ⇐ [/ا، ن، غ، م، س/].

(6) جَبٌّ ⇐ جَوْبٌ[49] : [/ج، ب، ب/] ⇐ [ج، و، ب/].

(7) ذُرُوحٌ ⇐ ذُرْنُوحٌ[49] : [/ذ، ر، ر، و، ح/] ⇐ [/ذ، ر، ن، و، ح/].

(8) شَغِّيرٌ ⇐ شُنْغِيرٌ[49] : [/ش، غ، غ، ي، ر/] ⇐ [ش، ن، غ، ي، ر/].

(10) عَـدَبَّسٌ ⇐ عَدَنْبَسٌ[49]: [/ع، د، ب، ب، س/] ⇐ [ع، د، ن، ب، س/].

2-3. التبـايـن عـن بعـد :

ويكون بين صوتين متماثلين يفصل بينهما صوت آخر، وهذا لا يكون إلاّ في الرباعي من نوع (2,1,2,1) أي ما ماثل أولُه ثالثه وثانيه رابعَهُ، ومن أمثلته :

(1) تقفقفَ ⇐ تقرقفَ : [/ق، ف، ق، ف/] ⇐ [/ق، ر، ق، ف/][50].

(2) بَخْبَخَ ⇐ بَرْبَخَ : [/ب، خ، ب، خ/] ⇐ [/ب، ر، ب، خ/].

(3) دهدهَ ⇐ دهدى : [/د، هـ، د، هـ/] ⇐ [/د، هـ، د، ى/].

ولم يشذَّ عن هذا القانون سوى مثالين اثنين : أحدهما أداة والثّاني من الخماسي (اسم) :

(1) لَعَلَّ ⇐ لَعَنَّ : [/ل، ع، ل، ل/] ⇐ [/ل، ع، ن، ن/]، (1,1,2,1) ⇐ (3,3,2,1).

(2) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ : [/ح، ب، ر، ب، ر/] ⇐ [ح، ب، ن، ب، ر]، (3,2,3,2,1) ⇐ (3,2,4,2,1)

يستفاد ممّا سبق أنّ للتّوليد بالتباين طريقتين : تتمثّل الأولى في مخالفة أحد الصوتين المدغمين لمثيله (تباين عن قُرب)، وتتمثّل الثانية في مخالفة أحد الصوتين المتماثلين

---

(47) المعجم الوسيط، 1/61 و 70 تباعًا.

(48) مطر : لحن العامة، ص 215.

(49) هذه الأمثلة وقع شرحها سابقًا وأحيل على مراجعها.

(50) لم نعتبر هنا صوت الزيادة (ت).

المتباعدين في مفردة ما لمثيله (تباين عن بُعد)،وأنّ الطريقة الأولى هي المطّردة والغالبة في العربيّة خلافا لما ذهب إليه برجشتراسر.

4 - آليات التّوليد بالتّباين :

تقوم آليات التّوليد بالتّباين على خصائص الأصوات المتبادلة وعلى موقعيّة التّباين واتجاهه.

4 - 1. خصائص الأصوات المتبادلة :

ذكرنا سابقا أنّ التباين يكون بإبدال صوت من صوتين متماثلين في مفردة ما، ونريد في هذا العرض أن نبيّن :

(أ) ما هي الأصوات التي تقبل التّباين ؟

(ب) ماهي الأصوات التي يمكن أن تكون بدائل ؟

نتبيّن من الأمثلة التي قدّمناها أنّ الأصوات [*ب/ث/ح/خ/د/ذ/ر/س/ش/ص/ط/ع/غ/ف/ق/ل/م/ن/هـ/ي/*] وعددها عشرون (20) وقع فيها التّباين، ويمكن أن يقع التّباين أيضا في الأصوات [*ت/ز/ض/ك/*] مثل :

(1) هَتَّ (الثوبَ : مزّقه) ⇐ هَرَتَ(51) : */ت/* ⇐ */ر/*.

(2) خزَّ (طَعَنَ) ⇐ خَزَا(52) : */ز/* ⇐ */ا/*، (والألف هنا واو) ⇐ */ز/* ⇐ */و/*.

(3) تَقَضَّضَ (هوى ليقع) ⇐ تَقَضَّى(53) : */ض/* ⇐ */ى/*.

(4) هكَّلَ(54) (مشى باختيال) ⇐ هرْكَلَ(55) : */ك/* ⇐ */ر/*.

أمّا صوت الجيم فأكثر ما يلحقه التّباين في المفردات المعرّبة مثل:

(1) إجّاصٌ (ثمر معروف)⇐ إنْجَاص(56) : */ج/* ⇐ */ن/*.

(2) إجّانَةٌ (إناءٌ تُغسل فيه الثياب) ⇐ إنجانة(57) : */ج/* ⇐ */ن/*.

---

(51) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 67

(52) المرجع نفسه، ص ص 53 - 54.

(53) مطر : لحن العامة، ص 215.

(54) المعجم الوسيط، 1030/2 .

(55) المرجع نفسه، 1022/2 .

(56) مطر : لحن العامة، ص 217.

(57) المرجع نفسه، ص 217.

(3) إجّارٌ (سطح المنزل) ⇐ إنْجَـارٌ(58) : /ج/ ⇐ /ن/ .

فجملة الأصوات التي وقع فيها التّباين خمسة وعشرون، ولم نجد فيما توفّر لدينا من مراجع ما يفيد وقوع التّباين في الأصوات [/أ/ ظ/و/]، على أنّ أحمد عبد المجيد هريدي يؤكّد : «عدم وجود أصوات تقبل التّخالف (59) وأخرى لا تقبل التّخالف» (60) وإن لم يقدّم أمثلة شاهدة.

أمّا الأصوات البدائل فلم تتجاوز التسعة (9) : ستّة منها متواترة بكثرة هي :

(1) الأصوات المائعة : [/ر/ل/م/ن/](61)،

(2) صَوْتَا اللّين : [/و/ي/]،

وثلاثة أصوات لم نرصد لأيّ منها أكثر من مثال واحد هي : [/ب/ض/هـ/]. وبناءً على ما تقدّم يمكن صياغة القانون التّالي :

«إذا وقع تباين بين صوتين متماثلين فإنّ أحدهما يُبْدل بصوت من أصوات اللّين أو الأصوات المائعة في الأغلب».

وتفسير ذلك أنّ النّطق بالصوت المضعف يتطلّب مجهودا عضليا كبيرا، وقد عبّر عنه اللغويون القدامى بعبارات مثل : «كراهيّة التضعيف» أو «كراهيّة اجتماع حرفين من جنس واحد» أو «استثقال اجتماع المثلين»(62)؛ لذلك يلجأ المتكلّم إلى المخالفة بينهما بأن يستبدل أحد الصّوتين المثلين بصوت آخر يكون إمّا من أصوات اللين وإمّا من الأصوات الشبيهة بأصوات اللّين أي الأصوات المائعة. فهذه الأصوات [/و/ي/ر/ل/م/ن/] هي أكثر الأصوات وضوحا في السّمع وأيسرها في النّطق وأكثرها شيوعا في الاستعمال(63).

وهذا القانون لا ينطبق على التّوليد بالتّباين في العربيّة الفصحى فقط بل كذلك على معاملة المفردات المعرّبة وفي اللّهجات العاميّة.

(58) أنيس : أصوات، ص 214.

(59) يعني : «التباين».

(60) هريدي : ظاهرة المخالفة، ص 25 و74.

(61) لم نورد في نماذجنا إلاّ مثالا واحدا لصوت اللام. لكنّنا سنبيّن أنه متواتر عندما تقدّم أمثلة من العاميات العربيّة ومن اللّغات الأوروبية.

(62) ينظر مثلا : سيبويه : الكتاب، 424/4،

(63) ينظر : أنيس : أصوات، ص ص 27-28؛ وكذلك : مطر : لحن العامة، ص ص 213-214؛ وأيضا : إبراهم : مدخل في الصوتيات، ص ص 83-109 و127-158.

أ - مـــن أمثلتـــه فـــي المعـــرّب :

(1) أُتْرُجٌّ (شجر من جنس اللّيمون) ⇐ أتْرُنْجٌ : /ج/ ⇐ /ن/.

(2) قَبَّانٌ(65) (ميزان للأثقال) ⇐ قَنْبَانٌ : /ب/ ⇐ /ن/.

(3) إجّاصٌ (نوع من الثّمار) ⇐ إنجاصٌ(66) : /ج/ ⇐ /ن/.

(4) قَنَّبٌ (نبات ينتج ليفًا متينًا) ⇐ قِرْنَبٌ(66) : /ن/ ⇐ /ر/.

(5) قَنَّبِيط (نوع من البقل) ⇐ قرنبيط(67) : /ن/ ⇐ /ر/.

على أنّ من المفردات المعرّبة ما عَدَّهُ اللّغويون مولّدا بالتباين الصّامتي مثل :

(1) دينارٌ : أصلها (دنّارٌ)(68) ⇐ /ن/ ⇐ /ي/.

(2) قيرَاطٌ : أصلها (قَرَّاطٌ)(68) ⇐ /ر/ ⇐ /ي/.

(3) ديوان : أصلها دوَّانٌ(68) ⇐ /و/ ⇐ /ي/ .

(4)ديبَاجٌ : أصلها (دِبَّاجٌ) ⇐ /ب/ ⇐ /ي/.

ويستندون في رأيهم على الشكل المنجز في صيغة الجمع (دنانير/قراريط/ دواوين / دبابيج) حيث يُظهر التأليف الصّوتي لهذه الجموع الأصوات الأصلية للمفردة.

وهذا المذهب - في نظرنا- يمكن الاعتراض عليه بالرّجوع إلى التّاليف الصّوتية لهذه المفردات في لغاتها الأصلية (اللّغات المصادر) فإنّ :

(1) دينار : أصلها Denarius (في اللاّتينية)(69).

(2) قيراط : أصلها : Keration (في اليونانيّة)(69).

(3) ديوان : أصلها Dîvân (في الفارسية)(70).

(4) ديباج : أصلها ديبَا (في الفارسيّة)(71).

---

(64) مطر : لحن العامة، ص 219

(65) المرجع نفسه، ص ص 218-219.

(66) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(67) مطر : لحن العامة، ص 218.

(68) يُنظر مثلا : نخلة : غرائب اللغة، ص 267 و278؛ وكذلك : الحلواني : الواضح، ص 25.

(69) نخلة : غرائب اللغة، ص 267.

(70) المرجع نفسه، ص 229.

(71) المرجع نفسه، ص 229؛ أدي شير : الألفاظ الفارسية، ص 60.

فلا وجود لتضعيف في الأصوات التي يُتَوَهَّم أنّ التّباين قد وقع فيها أي لا وجود لصوتين مثلين وقع بينهما تباين في أيّة مفردة من المفردات الأربع كما تُنطق في لغاتها الأصلية. لذلك نميل إلى الاعتقاد بأنّ هذه المفردات قد دخلت العربية على هيئتها التي عرفت بها، أي:

(1) دينار : ويكون جمعه : دياتير؛

(2) قيراط : ويكون جمعه : قياريط؛

(3) ديوان : ويكون جمعه : دياوين؛

(4) ديباج : ويكون جمعه : ديابيج.

لكن التغيير الذي حدث بعد ذلك حدث في صيغة الجمع ذاتها وليس في المفرد كما يُتوهَّمُ. وهذا التغيير هو ضرب من الإبدال : (كما في الأمثلة 1 و2 و4 الآتية) وضرب من القلب الصّرفي (المثال 3) :

(1) دياتير ⇐ دنانير : /ي/ ⇐ /ن/؛

(2) قياريط ⇐ قراريط : /ي/ ⇐ /ر/؛

(3) دياوين ⇐ دواوين : /ي/ ⇐ /و/؛

(4) ديابيج ⇐ دبابيج : /ي/ ⇐ /ب/.

ب- من أمثلته في العاميّة :

(1) عنوان (دليل من الظاهر على الباطن) ⇐ علوان[72] : /ن/ ⇐ /ل/ (دارجة مصرية)؛

(2) زِمكّة (أصل ذنب الطّائر) ⇐ زِمنكَه [73] : /ك/ ⇐ /ن/ (دارجة تونسيّة)؛

(3) فنجان (إناء صغير من الخزف وغيره) ⇐ فنجال[74] : /ن/ ⇐ /ل/ (دارجة تونسيّة).

2-4 موقعيّة الإبدال واتجاهه :

لا يحدث الإبدال بين صوتين مِثْلَيْنَ إلاّ إذا توفّر شرطان :

أ - أن يكون أحد الصوتين واقعا في نهاية مقطع منغلق (ح ك ح)، (CVC) أي

(72) عبد التواب : لحن العامة، ص 41.

(73) البكوش : التصريف العربي، ص 72.

(74) كانتينو : دروس، ص 103؛ البكوش، التصريف العربي، ص 72.

يكون ساكنا وهذا الصوت هو الذي يقع فيه التّباين (يبدل بصوت آخر) في الأغلب (75).

ب- أن يكون الصّوت الآخر في بداية مقطع آخر يليه (مباشرة أو عن بعد) أو يتقدمه، وأن يكون متبوعا بحركة.

ومن أمثلة ذلك (76) :

(1) جَبٌّ ⇐ جَوْبٌ : /ج ـَ ب.ب ـُ ن/ ⇐ / ج ـَ و.ب ـُ ن/

(2) زَفَّ ⇐ زَرَفَ : /ز ـَ ف.ف ـَ / ⇐ /ز ـَ . ر ـَ . ف ـَ /

(3) عَدَّبَسٌ ⇐ عَدَنْبَسٌ : /ع ـَ . د ـَ ب.ب ـَ . س ـُ ن/ ⇐/ع ـَ. د ـَ ن.ب ـَ . س ـُ ن/.

(4)بَخْبَخَ ⇐ بَرْبَخَ : /ب ـَ خ.ب ـَ .خ ـَ / ⇐ /ب ـَ ر.ب ـَ .خ ـَ /

(5)إمّا ⇐ إيما : /ء ـِ م.م ـَ / ⇐ /إ ـِ .م ـَ / (77).

(6) حَبَرْبَرٌ ⇐ حَبَنْبَرٌ : /ح ـَ .ب ـَ .ر . ب ـَ .ر ـُ ن/ ⇐/ح ـَ .ب ـَ ن. .ب ـَ .ر ـُ ن/.

في جميع هذه الأمثلة كان اتجاه التّباين تقدميّا لأنّ الصّوت المثيل الأول هو الذي خالف مثيله الثاني (اللاّحق).

لكنّ يمكن أن يكون اتجاه التباين رجعيا إذا ما وقع الإبدال في ثاني، الصوتين المثلين، كما في :

(1) حدَّق ⇐ حَدْلَقَ : / ح ـَ د.د ـَ .ق ـَ / ⇐ /ح ـَ د.ل ـَ .ق ـَ /.

(2) ذَرُّوحٌ ⇐ ذَرْنُوحٌ : /ذ ـَ ر.ر ـُ ح ـُ ن/ =) /ذ ـَ ر.ن ـُ .ح ـُ ن/(78).

(3) خَرُّوبٌ ⇐ خَرْنُوبٌ : / خ ـَ ر.ر ـُ .ب ـُ ن/ ⇐ /خ ـَ ر.ن ـُ .ب ـُ ن/

(4) كُرَّاسَةٌ : كُرْنَاسَةٌ : /:ـُ ر.ر ـَ س ـَ .ت ـُ ن/⇐ / ك ـُ ر.ن ـَ .س ـَ .ت ـُ ن/

---

(75) ينظر خاصّة : هريدي: ظاهرة المخالفة، ص ص 28-43 و 82.

(76) هذه الأمثلة للتوضيح فقط، لأنّ أغلب الأمثلة التي قدّمناها في هذا الفصل تخضع للشرطين المذكورين بطالع هذه الفقرة.

(77) ـِ : تعني كسرة طويلة، ـَ: تعني فتحة طويلة.

(78) ـُ : تعني ضمّة طويلة

(5) تَبَيَّضَ ⇐ تبيْضَضَ : /ت ـَ. ب ـَ ي. ي ـَ. ض ـَ / ⇐ /ت ـَ. ب ـَ ي. ض ـَ. ض ـَ /.

والملاحظ في هذه الأمثلة الخمسة :

(أ) أنّها لم تخرج عن القانون المحدّدة شروطه أعلاه.

(ب) أنّ التباين وقع في صوت الراء في غالب الأمثلة.

ويبقى نموذج آخر من الأفعال في حاجة إلى بيان موقعيّة التباين فيه واتجاهه، ومن أمثلته :

(1) غذَّ ⇐ غَذا / خزَّ ⇐ خزَا.

(2) تسرَّر ⇐ تسرَّى / تَلَعَّعَ ⇐ تلعَّى.

(3) دَهْدَهَ ⇐ دَهْدَى.

فهذه الأفعال لم يتمّ فيها التباين إلاّ بعد أن اتّصلت بضمير (79)، مثلا :

(1) خَزَّ (+تُ) ⇐ خزَزْتُ ⇐ (تباين) : خَزَوْتُ ⇐ [-تُ] : خَزَا يَخْزُو.

(2) تسرَّرَ (+تُ) ⇐ تسرَّرْتُ ⇐ (تباين) : تسرَّيْتُ ⇐ [-تُ] : تَسَرَّى.

(3) دَهْدَهَ (+تُ) ⇐ دَهْدَهْتُ ⇐ (تباين) : دَهْدَيْتُ ⇐ [-تُ] : دَهْدَى.

ونلاحظ أنّ التباين وقع في الأصوات المثيلة الواقعة في نهاية مقاطع منغلقة (أصوات ساكنة) وقد تقدّمتها مثيلاتها متبوعة بحركة، وبذلك تحقّق فيها الشّرطان اللّذان ذكرناهما في بداية هذه الفقرة، وإن كان اتّجاه التّباين في هذا النّموذج تَأَخُّريّا.

وخلاصة القول إنّ التباين يقع بين صوتين مثلين أحدهما ساكن والآخر متحرّك، ويُحدَّد اتجاه التّباين بموقع الصوت المُبدل. وذلك يعني أنّ التوليد بالتباين ليس اعتباطيا كما يعتقد البعض بل يخضع لقوانين معيّنةيحدّدها الاتّجاه والموقعيّة وخصائص الأصوات البديلة. وليس الأمر مقصورا على العربيّة فقط إذ نجد لهذه الظاهرة قوانينها الخاصّة في عدّة لغات أوروبيّة، ومن هذه القوانين نذكر اثنين نقلناهما عن هيلمسلاف :

(أ) إذا وُجد صوتان متماثلان في مفردة ما فإنّ التّباين يقع في العنصر المعزول الواقع بين حركتين كما في (80) :

---

(79) ينظر : هريدي : ظاهرة المخالفة، ص ص 60 - 64، وقد أشار سيبويه إلى ذلك في : الكتاب 4/424.

(80) الأمثلة الخمسة من : Hjelmslev : Le langage, p. 75

(1) Peregrînus (لاتينيّة) ⇐ Pelegrinus ⇐ Pèlerin (فرنسيّة) : /R1/ / ⇐ /L/.

(2) Cérébral (فرنسيّة) ⇐ Célébral (فرنسيّة عاميّة) : /R1 / ⇐ /L/ .

(3) Contrario (غاليسيّة(81) Galicien) ⇐ Contralio : /R2/ ⇐ /L/ .

(4) Imperatrice (برتغاليّة) ⇐ Empañatriz : /R1/ ⇐ /L/ .

(5) Schreiber (ألمانيّة) ⇐ Skrybélé (ليتوانيّة) : /R2/ ⇐ /L/ .

(ب)إذا تماثل صوتان في مفردة ما أحدهما يقع في نهاية مقطع نبري (Syllabe to-nique) والآخر يقع في نهاية مقطع غير منبّر (Syllabe atone) فإنّ التّباين يلحق العنصر الواقع في نهاية المقطع غير المُنبّر، وليس العكس، كما في (82) :

(1) Barbier ⇐ Balbier (ألمانيّة) : /R1/ ⇐ /L/.

Balbér ⇐ (دنماركيّة) : /R1/ ⇐ / L/.

(2) Arbor (لاتينيّة) ⇐ 'Abol (إسبانيّة) : /R2/ ⇐ /L/.

(3) Marmor (لاتينيّة) ⇐ Mârmol (إسبانيّة) : /R2/ ⇐ /L/.

Marmel ⇐ (ألمانيّة ودنماركيّة قديمة) : /R2 / ⇐ /L/.

5 - علّة التّباين ونتائجه :

لقد ذهب بعض اللغويين إلى أنّ علّة حدوث التّباين علّة نفسيّة محض(83) مثل «الخوف من التماثل» (84) أو «كراهيّة التضعيف(85) وذلك يعني أنّ مستعمل اللغة يريد أن يتجنّب التلفّظ بصوتين متماثلين متتاليين فيعمد إلى المخالفة بينهما.

وهذا الرأي في نظرنا صحيح ولكنّه ليس الرأي الوحيد الذي به يبرّر حدوث التباين. فهناك سبب آخر فيزيولوجي يهدف إلى التقليل من المجهود العضلي الذي يتطلّبه النطق بصوتين متماثلين متتابعين (86)، فيعمد المتكلّم إلى استبدال أحد الصوتين المثلين بصوت لا يتطلّب منه مجهوداً كبيرا كأحد أصوات اللين أو الأصوات المائعة مثلما بيّنّا ذلك

(81) هي لغة الشمال الغربي لإسبانيا.

(82) ينظر القانون والأمثلة في : Hjelmslev : Le langage, p. 76

(83) برجشتراسر : التطوّر النحوي، ص 34.

(84) Kiparsky : Phonological Change p. 390.

(85) سيبويه : الكتاب، 4/424.

(86) أنيس : أصوات، ص 213؛ ومطر : لحن العامة، ص 214.

سابقا، وفي هذا تطبيق لمبدإ : «المجهود الأدنى».

فعلّة التباين إذن علّة نفسيّة فيزيولوجيّة.

أمّا نتائج التّباين الصّامتي فتتمثّل كما رأينا في تولّد وحدات معجميّة جديدة تختلف عن أصولها بخصيصتين تمييزيّتين :

(1) التأليف الصوتي : لأنّ ما يتولّد يكون له صوت يختلف به عن الأصل الذّي تَفَرَّعَ عنه.

(2) البنية الصرفيّة : وذلك بأن تتحوّل من ثلاثيّة إلى رباعيّة مثلاً.

أمّا فيما يتعلّق بالدّلالة فيبقى المولّد بالتّباين الصّامتي تابعًا دلاليًا للأصول التي تولد عنها. ويمكن التمثيل للمولد بالتباين الصّامتي بالمخطط التالي :

م1==========⟸ م2

* تأليف صوتي : 1	* تأليف صوتي : 2
* بنية صرفيّة : 1	* بنية صرفيّة : 2 (87)
* دلالة : 1	* دلالة :1
* انتماء مقولي : 1	* انتماء مقولي : 1

حيث نرمز إلى : المفردة الأصل بـ(م1) وإلى المفردة المولّدة بـ (م2) ويدلّ الرقم (1) على الخصيصة الأصليّة، والرقم (2) على الخصيصة الجديدة.

6 - خـــــاتمـــــة :

إنّ غاية حدوث التّباين الصّامتي في اللّغة - كما ذكرنا - تسهيل التلفّظ. وهذه الظاهرة مطّردة في عديد اللّغات وفي لهجاتها.

وقد تبيّنّا خلال هذا الفصل أنّ التّوليد بالتّباين الصّامتي قاعدة مطّردة تخضع لقوانين دقيقة، وهذه القوانين لا تخرج عن قوانين النظام اللغوي العام.

كما رأينا تأثير هذه القاعدة في التأليف الصوتي للوحدات المعجميّة وكيف اقتضى ذلك التأثير - في أغلب الحالات - تعديلا في البنى المقطعيّة للمفردات.

إنّ ما ينتج عن التباين الصامتي من أشكال جديدة مولّدة يتمّ وفق قواعد اللغة وقوانينها الصوتيّة والصرفيّة، لذلك كان إبدال الأصوات محدودا في مجموعة صوتيّة معيّنة (صوتا اللّين والأصوات المائعة) باعتبار أنّ هذه الأصوات هي أيسر الأصوات نطقا

(87) إذا كانت المفردة المولّدة ثلاثية من مفردة ثلاثية أيضا فإن البنية لا تتغيّر.

وأوضحها في السّمع. كما كان للتّباين الصّامتي دور في إدماج المقترض وإخضاعه لقواعد التأليف الصوتي والبنى الصرفيّة للغة المورد.

على أنّ النّوع الثاني من التّباين ونقصد التّباين الصائتي يتميّز عن النوع الأوّل (الصّامتي) بالخاصية الإبداعية. ذلك أنّ ما يتولّد عنه من وحدات معجمية جديدة يكون في أغلبه مكتسبا لخصائص تمييزية يختلف بها عن الوحدات الأصول شكلا ومحتوى مثلما يبيّنه النموذج المقارني التالي : حيث نرمز بـ (ت) إلى التأليف الصوتي و(ب) إلى البنية الصرفية و(د) إلى الدلالة و(ق) إلى الانتماء المقولي و(م1) الى المفردة الأصل و(م2) الى المفردة المولّدة:

م1==========⇐ م2

(شَمَخَ)	(شَمْخَـــر)
ت1 : [/شَمَخَ/]	ت2 : [/شَمْخَر/]
ب1 : [فَعَلَ]	ب2 : [فَعْلَـر]
د1 : [عَلاَ وارْتَفَعَ]	د2 : [تَكَبَّر]
ق1 : [فعْـــلٌ]	ق2 : [فِعْـــلٌ]

فتنتج عن ذلك القاعدة التاليـــة :

ت 1 ≠ ت 2

ب 1 ≠ ب 2

د 1 ≠ د 2

م 1 = ق 2

وهذا النوع من التباين يظهر في قاعدة الإقحام (Intrusion) وهي قاعدة صوتية لا تقلّ عن بقيّة قواعد التوليد المعجمي إبداعية فيما ينتج عنها من وحدات معجميّة مولّدة (88).

علـــي الـــودرنـــي
جامعة تونس الأولى

(88) ينظر : ابراهيم بن مراد : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 139-143؛ علي الودرني : دور الأصوات في التوليد المعجمي، ص ص 206-265.

قـائمة المـراجــع

1 - المراجع العربيـــة والمعرّبـــة :

* ابراهم (عـبد الفـتّاح) : مـدخل في الصّوتيـات، دار الجنوب، تونس (د.ت)، (198 ص).

* ابن مـراد (إبـــراهيم) : مسـائل في المعجـم، دار الغرب الإسلامـي، بيروت 1997، (274ص).

ـــ مقدّمة لنظريّة المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، (217ص).

* ابن منظور (جـمال الدين أبو الفـضل محـمّد) : لسـان العرب، دار الجيـل - دار لسان العرب، بيروت 1988 (7 أجزاء).

* أنيس (إبراهيم) : الأصـوات اللّغوية، ط 5، مكتـبة الأنجلو المصريّـة، القاهرة، 1990، (278ص).

* برجشتراسر : التطوّر النحوي للغة العربيّة، ترجـمة رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي القاهرة ودار الرّفاعي الرّياض، 1982 (231ص).

* البكّوش (الطيّب) : الـتصـريف العـربي من خـلال علم الأصـوات الحـديث، ط.2، مؤسّسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1987 (203 ص).

* الحلواني (محمّد خيـر) : الواضح في علم الصّرف، ط4، دار المأمون للتراث، دمشق 1987 (283 ص).

* الدومـينيكي (الأب مرمـرجي) : «الثنائية والألسنة السّاميـة»، في مجلّة مـجمع اللّـغة العربيّة بالقاهرة، 8(1955)، ص ص 374-383.

* سيـبويه (أبو بـشر عمـرو): الكتاب، تحـقيق عـبد السـلام هارون، دار سحنون للنّـشر والتوزيع، تونس 1990 (5 أجزاء).

* عبد التوّاب (رمضان) : لحن العـامّة والتطوّر اللغوي، دار المعارف بمصر، القاهرة 1967 (426 ص).

* كانتينو (جـان) : دروس في علم أصـوات العربيّة، ترجمة صالح القـرمادي، نشريات مـركـز الدراسـات والبـحـوث الاقـتـصـاديّة والاجـتـمـاعـيّـة، تونس 1966 (221ص).

* الكلداني (أدّي شير) : كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 1908 (194ص).

* مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة : المعجم الوسيط، ط3، القاهرة 1985 (جزآن).
* مطر (عبد العزيز) : لحن العامّة في ضوء الدّراسات اللّغوية الحديثة، الدّار القومية للطّباعة والنّشر، القاهرة 1966 (313ص).
* نخلة اليسوعي (الأب رفائيل) : غرائب اللغة العربيّة، ط3، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت 1960 (328 ص).
* هريدي (أحمد عبد المجيد) : ظاهرة المخالفة الصّوتية ودورها في نموّ المعجم العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989 (94ص).
* الوردني (علي) : دور الأصوات في التوليد المعجمي، بحث قدّم في نطاق شهادة الدّراسات المعمّقة، كليّة الآداب بمنّوبة 1999 (292 ص مرقونة).

2 - المراجع الأعجمية :

* Cantineau (Jean) : Etudes de linguistique arabe, Librairie C.Klincksieck, Paris, 1960 (299 p.).
* Hjelmslev (Louis) : Le langage, trad. franç. par Michel Olsen, les Editions de Minuit, Paris, 1966 (203 p.).
* Kiparsky (Paul) : "Phonological Change", in : Frederick J. New-meyer (ed): Linguistics : The Cambridge Survey, Cambridge University Press, Cambridge, 1988, I, pp. 363-415.